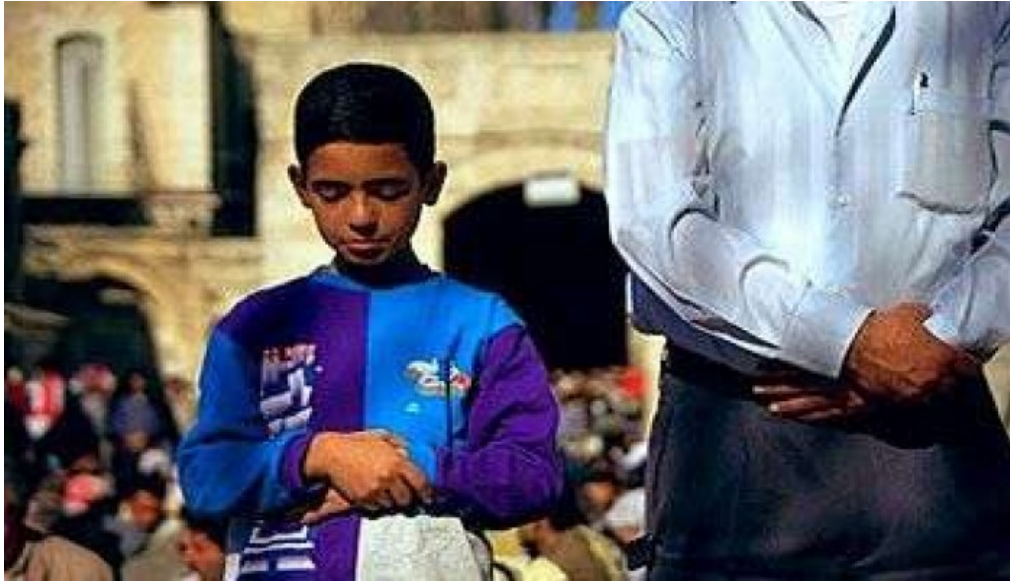


تربية الأولاد في الإسلام (8)



الأحد 5 فبراير 2017 01:02 م

طالع ما سبق نشره :

(1) (2) (3) (4) (5) (6) (7)

بقلم : الشيخ عبد الله علوان

الفصل الثالث - مسؤولية التربية الجسمية

وجوب النفقة على الأهل والولد
ومن المسؤوليات الكبرى التي أوجبها الإسلام على المرين من آباء وأمهات ومعلمين مسؤولية التربية الجسمية، لينشأ الأولاد على خير ما ينشؤون عليه من قوة الجسم، وسلامة البدن، ومظاهر الصحة والحيوية والنشاط
وإليكم - أيها المرينون - المنهج العلمي الذي رسمه الإسلام في تربية الأولاد الجسمية، لتعلموا ضمانة الأمانة الملقاة على عاتقكم، ومعالم هذه المسؤولية التي أوجبها الله عليكم:

1- وجوب النفقة على الأهل والولد

لقوله تبارك وتعالى:

{وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف} البقرة: 233.

ولقوله عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي رواه مسلم: "دينار أنفقته في سبيل الله، ودينار أنفقته في رقبة [1]، ودينار تصدقت به على مسكين، ودينار أنفقته على أهلك أعظمها أجراً الذي أنفقته على أهلك".

وإذا كان للآب والأجر والثوبة في التوسعة على الأهل، والإنفاق على العيال فإن عليه بالتالي الوزر والإثم إذا أمسك عن الإنفاق، وقتر على الأهل والأولاد وهو مستطيع اسمعوا إلى ما يقوله عليه الصلاة والسلام في حق المضيعين لعيالهم، والممسكين عن نفقة أهلهم وأولادهم، وذلك في الحديث الذي رواه أبو داود وغيره: "كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت"، وفي رواية لمسلم: "كفى بالمرء إثماً أن يحبس عقرن يملك قوته". ومن النفقة على العيال تهيئة الأب لأهله وعياله الغذاء الصالح، والمسكن الصالح، والكساء الصالح حتى لا تتعرض أجسامهم للأسقام، وتنهك أبدانهم الأوبئة والأمراض

[1] في رقبة: أي في اعتناق عبد أو أمة

اتباع القواعد الصحية في المأكل والمشرب والنوم

لتصبح لدى الأولاد عادة وخلقاً

فمن هديه عليه الصلاة والسلام في الطعام: الاحتماء من التخمّة، والنهي عن الزيادة في الأكل والشرب على قدر الحاجة روى الإمام أحمد والترمذي وغيرهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطنه، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فإن كان لا بد فاعلاً، فثلاث لطعامه، وثلاث لشرابه، وثلاث لنفسه".

ومن هديه صلوات الله وسلامه عليه في الشراب: الشرب مثنى وثلاث، والنهي عن التنفس في الإناء، والشراب قائماً
- روى الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تشربوا واحداً كشراب البعير، ولكن اشربوا مثنى وثلاث، وسقوا إذا أنتم شربتم واحمدا إذا أنتم رفعتم".

- وفي الصحيحين عن أبي قتادة أن النبي صلى الله عليه وسلم: "نهى أن يتنفس في الإناء"، وفي رواية للترمذي: "نهى أن يتنفس في الإناء أو ينفخ فيه".

- وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يشرب أحدكم قائماً، فمن نسي فليستقئ".
ومن هديه صلى الله عليه وسلم في النوم: النوم على الجانب الأيمن، لأن النوم على الجانب الأيسر يضر بالقلب، ويعيق التنفس روى البخاري ومسلم عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا أتيت مضجك فتوضأ للصلاة، ثم اضطجع على شقك الأيمن، وقل: "اللهم أسلمت وجهي إليك، ووجهت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، ورجية ورهبة

إليك، لا ملجأ ولا منجأ إلا إليك، آمنت بكتابتك الذي أنزلت، ونبيك الذي أرسلت"، واجعلهن آخر ما تقول".
التحرز من الأمراض السارية المعدية
للأحاديث التالية:

- روى مسلم وابن ماجه وغيرهما من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه كان في وفد ثقيف رجل مجذوم، فأرسل إليه النبي صلى الله عليه وسلم: "ارجع فقد بايعناك".

- وروى البخاري في صحيحه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "فرّ من المجذوم فرارك من الأسد".

- وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يوردن ممرض على مريض". لذا كان لزاماً على المريين - ولا سيما الأمهات - إذا أصيب أحد أولادهم بمرض مُعْدٍ أن يعزلوه عن بقية الأولاد، حتى لا ينتشر المرض، ويستفحل الوباء. فما أعظم هذا الهدى النبوي في تربية الأجسام، والحفاظ على صحة الأبدان!!

معالجة المرض بالتداوي

لما للتداوي من أثر كبير في دفع البلاء، وتحقيق الشفاء

ولقد جاء الأمر بالتداوي في أحاديث كثيرة، نجتزئ منها ما يلي:

- روى مسلم وأحمد وغيرهما عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "لكل داء دواء، فإذا أصاب الدواء الداء برأ بإذن الله عز وجل".

- وفي مسند الإمام أحمد، وفي النسائي، وغيرهما عن أسامة بن شريك قال: "كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم، وجاءت الأعراب، فقالوا: يا رسول الله! أتداوي؟ فقال: نعم يا عباد الله تداوؤ، فإن الله عز وجل لم يضع داء إلا وضع له شفاء، غير داء واحد، قالوا: ما هو؟ قال: الهرم".

- وروى الإمام أحمد والترمذي وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنهما قال: "قلت: يا رسول الله! أ رأيت رُقيئ نسترقبها، ودواء نتداوى به، وتقاه نتقبها هل ترد من قدر الله شيئاً؟ فقال عليه الصلاة والسلام: هي من قدر الله". فما على الآباء والمريين إلا أن يأخذوا بتوجيهات النبي صلى الله عليه وسلم في شأن الاهتمام بأولادهم حين يصابون، وبمعالجتهم حين يمرضون. لأن الأخذ بالأسباب والمسببات من مقتضيات الفطرة، ومن صميم مبادئ الإسلام!!

تطبيق مبدأ "لا ضرر ولا ضرار"

لما روى مالك، وابن ماجه، والدارقطني عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا ضرر ولا ضرار". فهذا الحديث الشريف عدّه الفقهاء والأصوليون قاعدة شرعية من أهم القواعد التي قررها الإسلام، وينبني عليها أمور كثيرة في الحفاظ على كيان الفرد والمجتمع، وفي دفع الضرر عن الناس.

وبناء على هذه القاعدة وجب على المريين - ولا سيما الأمهات - أن يرشدوا أولادهم إلى التقيد بالتعاليم الصحية، والوسائل الوقائية في الحفاظ على صحة الولد، وتنمية قوته الجسدية. وعليهم كذلك أن يستعينوا بالمختصين فيما يجب اتخاذه لوقاية الجسم من الآفات المرضية، والأمراض السارية.

- فإذا كان أكل الفواكه فجّة تؤذي الجسم، وتسبب المرض. فعلى المريين أن يرشدوا الأولاد إلى أن يعتادوا أكل الفواكه ناضجة. وإذا كان أكل الخضار والثمار قبل غسلها يؤدي إلى آفات مرضية. فعلى المريين أن يرشدوا أولادهم إلى أن يعتادوا أكل الخضار والثمار بعد غسلها.

- وإذا كان إدخال الطعام على الطعام يسبب أمراضاً في المعدة وفي جهاز التنفس وجهاز الهضم. فعلى المريين أن يرشدوا الأولاد إلى أن يعتادوا الطعام في أوقات مخصوصة.

- وإذا كان تناول الطعام باليدين قبل غسلها يؤدي إلى انتشار المرض، فعلى المريين أن يرشدوا الأولاد إلى تطبيق هدي الإسلام في غسل اليدين قبل الطعام وبعده.

- وإذا كان النفخ في الإناء وفي الملعقة يؤدي إلى أضرار جسمية، فعلى المريين أن يمنعوا أولادهم عن هذه العادة الوذية. وهكذا، حينما يأخذ المربون بعثل هذه التعليمات الطبية، ويعودوا أولادهم على التقيد بهذه الإرشادات الصحية. فلا شك أن الأولاد ينشؤون على الصحة الكاملة، ويتبرعون على سلامة الجسم، وقوة البدن، وظاهرة الحيوية والنشاط!!

تعويد الولد على ممارسة الرياضة وألعاب الفروسية

تحقيقاً لقوله تبارك وتعالى:

{وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ} الأنفال: 60.

وتنفيذاً لأمره عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي رواه مسلم: "المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف".

ومن أجل هذا دعا الإسلام إلى تعليم السباحة والرمي وركوب الخيل، وذلك من التوجيهات النبوية التالية:

- روى الطبراني بإسناد جيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "كل شيء ليس من ذكر الله فهو لهو أو سهو إلا أربع خصال: مشي الرجل بين الغرضين (للرمي)، وتأديبه فرسه، وملاعبته أهله، وتعليمه السباحة".

- وروى مسلم في صحيحه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قوله تعالى: {وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ} ثم قال: "ألد إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي".

- وروى البزار والطبراني بإسناد جيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "عليكم بالرمي فإنه من خير لهوكم".

- وروى البخاري في صحيحه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يمر على أصحابه في حلقات الرمي، فيشجعهم ويقول لهم: (ارموا وأنا معكم كلكم).

- وجاء في الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم أذن للحبشة أن يلعبوا بحرابهم في مسجده الشريف، وأذن لزوجته عائشة رضي الله عنها أن تنظر إليهم، وهو يقول لهم: (دونكم ما بني أرفدة [1]) وبينما هم يلعبون عند النبي صلى الله عليه وسلم بحرابهم دخل عمر فأهوى إلى الحصباء فحصبهم بها، فقال عليه الصلاة والسلام: (دعهم يا عمر) [2].

وروى أصحاب السنن والإمام أحمد عنه عليه الصلاة والسلام: "لا يبقي (أي لارهان) إلا في حُفٍّ أو حافر أو نصل (أي سهام)" لما لهذا الرهان [3] من أثر في إعداد وسيلة الحرب والجهاد

[1] أرفدة: كنية ينادى بها أبناء الحبشة عند العرب

[2] وإنها لسماحة كريمة من رسول الإسلام يُورِّ مثل هذا التحريم في مسجده الشريف، ليبين لكل ذي عينين أن المسجد في الإسلام يجمع بين العبادة والإعداد للجهاد، ويحقق تربية الفرد ومصلة الإسلام

[3] الرهان المباح هو ما كان بذله من غير المتسابقين أو من أحدهما فقط، أما إذا كان الرهان من المتسابقين فهو يدخل في القمار المحرم، وصورته: أن يقول أحد المتسابقين للآخر: إن سبقتني أعطيتك كذا من مال أو جائزة، وإن سبقتك تعطيني كذا من مال أو جائزة

فهذه الصورة محرمة

تعويد الولد على التقشف وعدم الإغراق في التمتع

ليقوم في سن الرشد والبلوغ بواجب الجهاد، والدعوة إلى الله على أحسن وجه، وأنبى معنى

ولقد جاءت الدعوة إلى التقشف، والتربية على حياة الخشونة في أكثر من حديث:

- روى الإمام أحمد وأبو نعيم عن معاذ بن جبل رضي الله عنه مرفوعاً: "إياكم والتنعّم فإن عباد الله ليسوا بالمتنعّمين".

- وروى الطبراني وابن شاهين وأبو نعيم عن القعقاع بن أبي حذرد مرفوعاً "تمعدّدوا، واخشوشنوا، وانتضلوا"[1].

ويكفي الرسول صلوات الله وسلامه عليه قدوة وأسوة في تقلبه في حياة الخشونة والتقشف في المطعم في الملابس في

المسكن لتتأسى الأجيال المسلمة به، وتمشي على هديه وسننه حتى تكون دائماً في حال يهيؤ واستعداد واستنفار لكل ما

يعترضها من أحداث، وما ينزل في ساحتها من نوازل

ومن الملاحظ أن أمة الإسلام حينما تتقلب في النعيم، وتسترسل في الملاذ والطيبات، وتنم على الديباج والحريز، وتغريها الحضارة

المادية ببريقها ومظاهرها فسرعان ما تنهار، وتستسلم لضربات الأعداء، وسرعان ما تخمد في نفوس شبابها روح المصابرة والمرابطة

والجهاد في سبيل الله وما سقوط الأندلس في التاريخ عن الأذهان بعيد!!..

[1] تمعدّدوا: انتسبوا إلى جدكم معد بن عدنان في خشونة العيش والفاضة

اخشوشنوا: تروبا على حياة الخشونة والتقشف

انتضلوا: ارموا بالسهام للإعداد والتعويد

تعويد الولد على حياة الجد والرجولة والابتعاد عن التراخي والميوعة والانحلال

وذلك للإرشادات النبوية التالية:

- روى مسلم في صحيحه عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال: "احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز".

- وروى الطبراني بإسناد جيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "كل شيء ليس من ذكر الله فهو لهو أو سهو إلا أربع

خصال: مشي الرجل بين الغرضين (أي الرمي)، وتأديبه فرسه، وملاعبته أهله، وتعليمه السباحة".

- وروى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا يزني الرجل حين يزني وهو مؤمن، ولا

يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن"، وزاد النسائي في روايته: "فإذا فعل ذلك فقد خلع ربة

الإسلام من عنقه".

- وروى مسلم وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "صنفان من أهل النار لم أرهما، قوم

معهم سيط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات معيلات ماثلات رؤوسهن كأسنمة البخت[1] المائلة، لا يدخلن الجنة

ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا".

فهذا غيض من فيض مما وجه إليه رسول الله صلوات الله وسلامه عليه وهي - كما رأيت - توجيهات قيمة تدعو إلى حياة الجد

والرجولة، وتحذّر من الميوعة والانحلال ومن المعلوم بدهاة أن الولد إذا نشأ على الميوعة والانحلال، وتربى على الفجور والمنكر، ودرج

على الهزل وعدم الاكتراث فإن شخصيته تتحطم، ونفسيته تتعقد، وجسمه يتعرض لأخطر الأسقام والأمراض

لهذا كله كان لزاماً على المرين - ولا سيما الأمهات - أن يتعهدوا أولادهم منذ الصغر، وأن يغرسوا في نفوسهم أنبل معاني الرجولة

والخشونة والإباء والشمم والخلق العظيم

وعليهم كذلك أن يبعدهم عن كل ما يحطم الرجولة والشخصية، ويقتل الفضيلة والأخلاق، ويوهن العقل والجسد فإن في ذلك - ولا

شك - سلامة لتفكيرهم وقوة لأبدانهم، وحفظاً لأخلاقهم، وسمواً لأرواحهم، وحافزاً قوياً لتحقيق آمالهم وأمانيتهم

تلکم هي - أيها المرين - أهم الأسس التي رسمها الإسلام في تربية الأولاد الجسمية

فإن أعرتموها اهتمامكم، وأوليتموها عنايتكم تمتع الجيل الذي تقومون على توجيهه وتربيته بالقوة والصحة والحيوية والنشاط، وتكونون

بالتالي قد قمتم بأداء الأمانة الملقاة على عاتقكم، وحققتهم المسؤولية التي أوجبها الله عليكم، ولقيتم الله سبحانه يوم القيامة بوجه

أبيض في مجمع من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً!!.

وهناك ظواهر خطيرة نلمحها في محيط الصغار والكبار، والمراهقين والشباب، وجب على المرين - ولا سيما الآباء - أن ينتبهوا لها،

ويدركوا أضرارها وأخطارها، ويكشفوا لمن لهم عليهم حق التربية عن ضرورها وآفاتهما حتى لا يقعوا في حبالها ويكتووا بنارها،

ويتهيأوا في منعطفاتها ودروبها

وفي تقديري أن هذه الظواهر المتفشية في الصغار والمراهقين والشباب تتركز في الأمور التالية:

1- ظاهرة التدخين

2- ظاهرة العادة السرية

3- ظاهرة المسكرات والمخدرات

4- ظاهرة الزنى واللواط

وسأتكلم - بعون الله - عن كل ظاهرة من هذه الظواهر الأربع بشيء من البيان والتفصيل

1- ظاهرة التدخين:

من المشاهد في واقعنا الاجتماعي الأليم أن ظاهرة التدخين هي أكثر انتشاراً، وأوسع تناولاً من أية ظاهرة أخرى فحيثما قلب الإنسان

النظر يجد هذه العادة الذميمة متفشية في ربوع المجتمع على اختلاف المستويات، وفي كافة الطبقات صغاراً وكباراً، رجالاً ونساءً، شيباً

وشباناً، ولم يُج منها إلا من غلب الإرادة على الهوى، والعقل على العاطفة، والمصلحة على المفسدة وقليل ما هم

ولكي نوقّي هذه الظاهرة حقها، ونحيط بها من جميع جوانبها يحسن التكلم عنها في أمور ثلاثة:

1- الأضرار التي تنجم عنها

2- حكم الشرع فيها

3- كيف نعالجها؟

أما فيما يتعلق بالأضرار التي تنجم عنها فيمكن أن نحدد الضرر بشبّين هامين:

الأول - الضرر الصحي والنفسي:

فقد ثبت بشكل قاطع جازم لا يحتمل الشك أن الدخان - كما قرر أطباء الصحة - يورث السل، وسرطان الرئة، ويضعف الذاكرة، ويقلل

الشهية، ويسبب اصفرار الوجه والأسنان، ويعيق التنفس، ويهيج الأعصاب، ويحدث انحطاطاً عاماً في الجسم، ويميّع الخلق، ويحلّل الإرادة،

ويعوّد على الكسل والاسترخاء

وإليكم تقارير الأطباء المختصين في أضرار الدخان وتأثيره على الصحة:

ذكرت مجلة (الشيكل) الألمانية: (أنه اجتمع عشرة من العلماء الأمريكيين المختصين في مركز البحوث في مدينة (بيثيردا) الواقعة في ولاية (ماري لاند) الأمريكية، وبحثوا تأثير الدخان على الصحة الفردية فأجمعوا على الأضرار التالية:

- 1- نسبة الوفيات بين المدخنين الذكور تزيد (68) بالمائة عنها من بين غير المدخنين
- 2- نسبة الوفيات في صفوف المدخنين من الأمراض التالية بالمقارنة مع غير المدخنين: سرطان الرئة (10,8) ضعفاً التهابات الأغشية المخاطية، ومجاري التنفس، وتورم وانتفاخ هذه المجاري (6,1) ضعفاً سرطان الحنجرة (5,4) ضعفاً سرطان تجويف الفم (4,1) ضعفاً سرطان المريء (3,4) ضعفاً، أمراض المعدة (2,4) ضعفاً أمراض دورية أخرى (2,6) ضعفاً وأمراض الدسامات القلبية (1,7) ضعفاً
- 3- وهذا يعني أن احتمال الإصابة بمرض الضفائر، والدسامات القلبية (وهو يؤدي في الولايات المتحدة غالباً إلى الموت) يزيد بمقدار (70) بالمائة في صفوف مدخني السجائر عن غير المدخنين، والتهابات الأغشية المخاطية، والمجاري التنفسية بمقدار (500) بالمائة، أما السرطان الرئوي وهو أكثر أنواع السرطان انتشاراً فتزيد نسبة احتمال الإصابة بين المدخنين (1000) بالمائة عن غير المدخنين [1].

[2]

- وأصدرت الجمعية السورية لمكافحة الشلّ نشرة تضمنت ما يلي: (إن سنوات عديدة من البحث العلمي أثبتت الوقائع التالية: عندما يدخن شخص ما سيجارة فإنه يتلغ الدخان ويحتفظ الجسم بـ (80 إلى 90) في المائة منه، كما يحتفظ ببقايا احتراق التبغ الذي هو القطران الذي يتجمع في الطرق التنفسية، والقطران هو نوع من عدة مركبات كيميائية يستطيع بعضها إحداث السرطان، بينما بقية العناصر الأخرى تحدث التخريش أيضاً، وتجعل الرئة موطناً صالحاً لفتك عصيات السل والجراثيم المعرصة الفتاكة للمدخنون أشد تعرضاً للإصابة بالسل والسرطان من الذين لا يدخنون، وبالتالي فإن عادة التدخين تسيء إلى الآفات الرئوية المزمنة: كالتهاب القصبات، وانتفاخ الرئة والربو والشلل، إن التدخين يهين لأضرار القلب، فالنيكوتين يزيد ضربات القلب، ويصيب الأوعية الدموية، فكثير من المدخنين يدفعون الثمن غالباً بتقويض حياتهم، فإياك والتدخين، ولا بد من الإقلاع عنه لكي تحفظ صحتك) [3] 1. هـ.

إلى غير ذلك من هذه الأضرار، والأمراض الخطيرة التي تنجم عند التدخين

الثاني - الضرر العالي:

من المؤكد أن صاحب الدخل المحدود ينفق على الدخان يومياً ربع دخله أو يزيد، ولا يخفى ما في ذلك من إضاعة المال، وخراب للبيوت، وشتات للأسر وربما انحرف عن الطريق السوي كالرشوة والسرقة لجلب ثمنه، وتأمين وجوده فهل هناك ضرر أصراً على الصحة والأخلاق والمجتمع من موبقة التدخين؟!.. ولكن - ويا للأسف - أكثر الناس لا يعلمون!!

• أما فيما يتعلق بحكم الشرع في ظاهرة تناول الدخان فيتلخص فيما يلي:

(أ) من المجمع عليه عند أئمة الفقهاء والمجتهدين أن ما يؤدي إلى الضرر، ويوقع في المهالك فاجتنابه واجب وفعله حرام، للحديث الذي رواه الإمام أحمد وابن ماجه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "لا ضرر ولا ضرار"، ولعموم قوله تبارك وتعالى: {ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة}. البقرة: 195.

وقوله: {ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً} النساء: 29.

وباعتبار أن الدخان قد ثبت ضرره جسيماً، وتحقق خطره صحياً - كما مر - فاجتنابه واجب، وتناوله حرام

(ب) ومن المسلم به عند أصحاب العقول الراجحة، والأذواق السليمة أن الدخان يدخل في زمرة الخبائث لضرره على الجسم، وتسببه الرائحة الكريهة للفم، والله سبحانه قد أحل للإنسان الطيبات، وحرم عليه الخبائث للحفاظ على جسمه، وسلامة خلقه وتفكيره، وظهوره في المجتمع بمظهر محبب جميل يقول الله سبحانه: {ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب} النساء: 02.

ويقول: {ويُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ} الأعراف: 157.

ويقول: {قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث} المائدة: 100.

(ج) ثم إن الدخان بالتالي يخر العقل، ويفتر الجسم، وهذا أمر يشعر به المقدم على تناوله، والمبدئ بشره، والمتدرج بالاعتقاد عليه ولا سيما إذا أفرط وأكثر

وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل مفتر، كما نهى عن كل مسكرومخدّر، وذلك في الحديث الذي رواه الإمام أحمد في مسنده وأبو داود في سننه بسند صحيح عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: "نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل مسكر ومفتر" أي مخدّر

فهذه النصوص بمنطوقها ومدلولها تؤكد أن تناول الدخان حرام، واجتنابه واجب لضرره البالغ، وخبثه الظاهر هذا عدا عن أن الدخان يسبب إضاعة المال في أضرار يعود أثرها على الفرد والأسرة والمجتمع، وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن إضاعة المال، كما جاء في صحيح البخاري

والذين قالوا بإباحة الدخان أو كراهته من الفقهاء في الماضي، قد يكون لهم بعض العذر لكون الطب لم يكشف عن أضراره بعد، مستنديين على قاعدة أصل الأشياء الإباحة إلا ما بعد أن كشف الطب عن أضراره الجسمية والنفسية، وأبان المختصون عن خطره البالغ في الفرد والمجتمع فلا مجال للتردد بحزمته أو إباحته، بل الحرمة بتناوله ظاهرة، والإثم بالاعتقاد عليه متحقق والله أعلم

• أما معالجة هذه الظاهرة فتعود بالدرجة الأولى على الدولة، وذلك بشن حملة إعلامية واسعة النطاق، في الصحف والمجلات، في الإذاعة وعلى شاشة التلفزيون، في كل مكان تحذر من الدخان، وتكشف لأبناء هذه الأمة وشبابها بشكل مستمر دائم عن ضرره البالغ، وخطره الكبير، مستعينة بأهل الخبرة والاختصاص، ورجال الفكر وأصحاب الأقلام، وعلى الدولة كذلك أن تزيد من ضرائبه، وترفع من أسعاره، وتمنعه منعاً باتاً في الأماكن العامة وازدحام الناس

وهذه الإجراءات كخطوة مرحلية لمنعه في المستقبل نهائياً كما يحدث الآن في الدول الكبرى كأمريكا واندكترا وغيرهم ثم على الكبار المعتادين شرب الدخان أن يكون عندهم من المراقبة لله عز وجل والخشية منه ما يردعهم عن تناول المحرمات والتي منها الدخان، وأن يكون عندهم كذلك من الإرادة والعزم والتصميم ما يقوِّبهم على مغالبة النفس والهوى، وأن يكون عندهم أيضاً من العقل والحكمة ما يدفعهم إلى أن يسيروا في الطريق السوي الذي لا عوج فيه ولا أتواء، ولا شك أن الإنسان إذا تحلّى بالإيمان الذي يردع، والإرادة التي تسيطر، والعقل الذي يوجه فإنه سيتصف - لا محالة - بالكمال، ويرفل في الحياة الهائلة الطيبة

أما الصغار الذين اعتادوا عادة التدخين بغفلة عن مراقبة أهليهم ومربيهم، فإهمال أمرهم خطير، وشهرهم على المجتمع - إن تُركوا - كبير ومستطير

فما على الآباء والمربين إلا أن يربقوا أوضاع أولادهم، ويتعرفوا على سلوكهم وتحركاتهم، ويعالجوا انحرافهم، حتى يردّوهم إلى الجادة، ويصلوا بهم إلى شاطئ السلامة

ومما لا يختلف فيه اثنان أن الولد منذ نعومة أظفاره إذا اعتاد التدخين، فإنه سيدرج شيئاً فشيئاً إلى ما هو أعظم منه قباحة، وأشنع فساداً وانحرافاً لكون الدخان يربد الرذيلة، والطريق إلى الفحشاء والمنكر ألا فليتذكّر أولوا الأبواب!!..

2- ظاهرة العادة السرية:

هذه الظاهرة متفشية ومنتشرة في أوساط المراهقين والشباب، والعامل الرئيسي في انتشارها وتفشيها هو ما يلحظه أولئك من مظاهر الفتنة والإغراء من أزياء النساء، ومشيتهن الخليعة، وتبرجهن المثير في الشوارع، وفي المنتزهات، وفي كل مكان □□ هذا في محيط المجتمع العام، أما ما يرونه في التمثيليات والأفلام فهو أدهى وأمر □□ فماذا يرون؟ يرون كل ما يهيج الغريزة ويسقط العفاف والشرف، ويقتل النخوة والغيرة والحمة □□ أما ما يقرؤونه في الكتب والمجلات من القصص الغرامية، والإثارات الجنسية □□ فهو من أشد المؤثرات على صحة الشباب النفسية والعقلية والخلقية □□

فهذه المثيرات وحدها تكفي في تدرج الشاب والشابة في طريق الزنى والفحشاء، والانزلاق في متاهات الفساد والرديلة □□ والمراهق الشاب إذا لم يكن عنده من مراقبة الله ما يردعه، والخشية منه ما يعصمه، والحسبان للعواقب ما يزرجه فإنه سيقع بين أمرين لا ثالث لهما:

- إما أن يشبع غريزته الجنسية في الحرام □□
- وإما أن يخفف من حدتها بالعادة السرية □□
وعلى أخف الأمرين الضرر بالغ ومتحقق □□ على الجسم والنسل والعقل والصحة النفسية □□ ولكي تكون الكتابة عن هذه الظاهرة شاملة يحسن التكلم عنها كذلك في أمور ثلاثة:

1- الأضرار التي تنجم عنها □□
2- حكم الشرع فيها □□
3- كيف نعالجها؟

أما الأضرار التي تنجم عنها فنحصرها في الأمور التالية:
(أ) أضرار جسمية:

ثبت طبيًا أن الذي يدمن على هذه العادة يقع في الأمراض التالية:
إنهاك في الثوى، نحول في الجسم، إرتعاش بالأطراف، حفقان بالقلب، ضعف بالبصر والذاكرة، إخلال بالجهاز الهضمي، إصابة الرئتين بالالتهابات التي تؤدي إلى السل في أغلب الأحيان، وأخيراً تؤثر على الدورة الدموية وتسبب فقر الدم □□
(ب) أضرار جنسية:

من أهم هذه الأضرار مرض العتة، ومعناها عدم قدرة الشاب على الزواج، ولا شك أن هذا المرض يتسبب عنه نفور المرأة من الرجل، ولا يمكن والحال هذه أن تدوم الرابطة الزوجية لتعذر الاتصال □□
ومن الأضرار اشمئزاز كل جنس من الآخر لاعتقاد الرجل في إشباع الشهوة عن طريق العادة الأثيمة، ومعنى هذا أن المرأة لم تجد حصانتها بزواجها من هذا الرجل المريض □□ وربما يؤدي الأمر في النهاية إلى الفراق، أو اتخاذ المرأة الخللان سرًا لإشباع غريزتها □□
(ج) أضرار نفسية وعقلية:

قرر العلماء النفسانيون أن المدمن على هذه العادة يصاب بأمراض نفسية وعقلية خطيرة، وهي مرتبة كما يلي:
الذهول والنسيان، ضعف الإرادة، ضعف الذاكرة، الميل إلى العزلة والانكماش، الاتصاف بالاستحياء والخجل، الاستشعار بالخوف والكسل، والظهور بمظهر الكآبة والحزن، والتفكير بارتكاب الجرائم والانتحار □□ إلى غير ذلك من هذه الأضرار التي تشل التفكير، وتميع الإرادة، وتحطم الشخصية، وقد أشبعها المختصون دراسة وبحثًا □□

أما حكم الشرع في مزاولتها فإنه الحرمة وارتكاب الإثم، وذلك للأدلة التالية:
(أ) يقول الله تعالى في سورة المؤمنون: {والذين هم لفروجهم حافظون □□ إلا

على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين □□ فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون} المؤمنون: 5-7.

فيدخل في عموم هذه الآية: {فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون} المؤمنون: 7.

كل تفرغ للشهوة من غير طريق الزواج وملك اليمين، كالزنى، واللواط، والاستمنا باليد □□
وقد ثبت عن عطاء - وهو من أصحاب ابن عباس رضي الله عنهما - أنه قال: (سمعت قوماً يحشرون وأيديهم حبالى، فأظنهم هؤلاء - أي الذين يستمنون بيدهم)، وقال سعيد بن جبير - وهو من طبقة التابعين - : (عذب الله أمة كانوا يعيثون بمذاكيرهم)، وورد كذلك: (سبعة لا ينظر الله إليهم □□ عذب منهم: الناكح يده) [4]، فهذه النصوص بحملتها تدل على أن مزاوله هذه العادة حرام □□

(ب) سبق أن ذكرنا في مبحث حكم الشرع في التدخين أن ما يؤدي إلى الضرر ويوقع في المهالك □□ فاجتنابه واجب، وفعله حرام لعموم الحديث الذي مر ذكره: "لا ضرر ولا ضرار"، وعموم قوله تبارك وتعالى:
{ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة} البقرة: 795.

وبما أن مزاوله العادة السرية يترتب عليها أضرار جسمية وجنسية ونفسية وعقلية □□ فإنها محرمة لحديث: "لا ضرر ولا ضرار"، ولآية: {ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة}.

سؤال وجيه:

إذا كان الاستمنا باليد حراماً، فما رأي الشرع بإنسان تملكته شهوته، وتحكمت فيه غريزته، وترجح لديه أنه سيقع في الزنى والفاحشة؟ لا شك أن الإنسان حين يوازن بين المفاسد، ويقارن بينها، سيختار في النهاية - إن أصبح محرجاً - أخفها ضرراً، وأهونها شراً، أخذاً بالقاعدة الأصولية التي تقول: (يختار أحق الضررين، وأهون الشرين).

فمن المعلوم أن الاستمنا باليد شر، ولكن الأشد شراً منه فاحشة الزنى واللواط لتهديمها الكيان العام، وقتلها فضيلة الشرف والعفة □□ عدا عما ينجم عنها من اختلاط الأنساب، وإراقة الدماء، وإثارة الضغائن والأحقاد □□ إذن يختار في هذه الحالة الاستمنا على ارتكاب الفاحشة باعتبار أنه أخف الضررين وأهون الشرين □□

لهذا قال الفقهاء: (إن الاستمنا باليد حرام إذا كان لجلب الشهوة وإثارتها وهي هادئة، أما إذا غلبت الشهوة بحيث شغلت البال، وأقلقت خاطر وأوقفت على باب الفاحشة، وتعين الاستمنا طريقاً لتسكينها فإن الأمر جائز ومكافئ بعضه بعضاً، وينجو صاحبه رأساً برأس أي لا أجر عليه ولا وزر، فلا يثاب ولا يعاقب) [5].

أما العلاج الناجع في استئصال هذه الظاهرة فيكون في الوسائل التالية:

1- الزواج في سن مبكرة:
لكونه أنجع الوسائل في استئصال هذه العادة الفتاكة، بل هو السبيل الطبيعي الوحيد لتصريف هذه الشحنة العارمة من الشهوة، هذا عدا ما للزواج من فوائد خلقية واجتماعية وصحية ونفسية لا يتسع المجال لذكرها الآن [6].

2- صوم النفل:
وإذا كانت هناك ظروف قاهرة تمنع من الزواج في سن مبكرة □□ فالإسلام أرشد الذين لا يجدون نكاحاً أن يصوموا صيام النفل، لما للصيام

من تخفيف لغواء الشهوة، وكسر لحدّة الغريزة، وتقوية لمعنى المراقبة لله، والخشية منه... وقد جاء هذا الإرشاد في الحديث النبوي الذي رواه الجماعة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "يا معشر الشباب! من استطاع منكم الباءة (تكاليف الزواج) فليتزوج فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء (أي قاطع للشهوة)". وما أكثر صيام النفل الذي حضّ الشرع على صيامه... ونذكر منه على سبيل المثال: صيام داود فكان يصوم يوماً ويفطر يوماً، وصيام الاثنين والخميس، وصيام الستة من شوال، وصيام عاشوراء... ومنه صيام تسكين الشهوة لقوله عليه الصلاة والسلام: "... ومن لم يستطع فعليه بالصوم".

3- الابتعاد على المثيرات الجنسية:

مما لا يختلف فيه اثنان أن المجتمع الذي نعيش فيه يعجّ بالمفاسد والمغريات، ويتخطى بالانحلال والفجور... ولا شك أن الشاب حين يجري وراء هذه المثيرات والمفاتن، ويتيه في حمأة الرذيلة والفاحشة... فإنه يتأثر - ولا شك - خلقياً، وينحرف سلوكياً، ويكون كالحیوان الأعجم شهوة وانطلاقاً

فما على المرء إلا أن يقوموا بدور النصح، وواجب التنبيه والتحذير تجاه من لهم في أعناقهم حق التوجيه والتربية حيث يهملون في آذانهم أن النظر إلى النساء الكاسيات العاريات المتبرجات... وأن قراءة القصص الغرامية، والمجلات الخلاعية التي يقوم على ترويجها تجار الغرائز والأعراض... وأن السماع إلى الأغاني الخليعة الماجنة التي تبثها أمواج الأثير في كل مكان... إنّ كل هذا مما يخذل الغيرة، ويلوث الشرف، ويميّع الخلق، ويقتل الكرامة ويوهن الجسم، ويخمل الفهم، ويضعف الذاكرة، ويثير الغريزة، ويفقد الشخصية، ويقبر المروءة والفضيلة والأخلاق!!.. عسى أن يعي شبابنا هذا النصح، ويحسبوا كل الحساب لهاتيك النتائج... فلا يجدون بدءاً - بعد هذا التذكير والتنبيه - إلا أن يحافظوا على توازنهم الإرادي وانضباطهم النفسي والخلقي، وصحتهم العقلية والجسدية... فعندئذ يكونون في زمرة الصالحين الأطهار، والمؤمنين الأبرار!!..

4- ملء الفراغ بما ينفع:

يقدر علماء النفس والتربية أن الولد إذا اختلى إلى نفسه وقت فراغه تُردُّ عليه الأفكار الحالمة، والهواجس السارحة، والتخيلات الجنسية المثيرة... فلا يجد نفسه - إن كان مرهقاً أو شاباً - إلا وقد تحركت شهوته، وهاجت غريزته أمام هذه الموجة من التأمّلات والخواطر... فعندئذ لا يجد بدءاً إلا أن يلجأ إلى هذه العادة الخبيثة ليخفف من طغيان الشهوة، ويحدّ من سلطانها... إذن ما العلاج للتخلص من سوانح الخواطر، وشروء الخيال، حتى لا يقع في هذه النتائج الوخيمة، والعواقب الأليمة...؟

العلاج:

أن تُعرّف الشباب المراهق كيف يقضي وقته، ويملأ فراغه؟

وما أكثر هذه المجالات التي يقضي فيها الوقت، ويملأ الفراغ!!..

إنّ رياضة بدنية يقوي بها جسمه، أو نزهة بريئة مع رفاق مأمونين يرؤح بها عن نفسه، أو مطالعة مفيدة يكمل بها علومه، أو عمل يدوي ينقّي به ميوله، أو حضور درس ديني توجيهي يهذب خلقه، أو مباراة ثقافية يرؤض بها عقله، أو تمارين على الرمي ووسائل الجهاد يعد بها نفسه... إلى غير ذلك من هذه المجالات النافعة التي تغذي الفكر، وتهذب الروح، وتقوي الجسم، وتسمو بالخلق!!..

5- الرفقة الصالحة:

من أهم ما ينبغي أن يحرص عليه المرء تجاه ولده الشاب المراهق أن يختار له رفقاء صالحين مأمونين يذكّرونه إذا نسي، وينصحونه إذا انحرف، ويعينونه إذا انصلح، ويواسونه إذا أصابته أحداث ونوازل!!..

وقد يقال: إن هؤلاء الرفقاء المعنيين قليلون، ولا سيما في هذا الزمان الذي عرّ فيه الصديق المخلص، والرفيق المؤمن... نعم نسلم أنهم قلة ولكن هذه القلة متوفرة في كل مكان يعرفون بسيماهم من أثر السجود، ويميزون بأخلاقهم العالية، وبنهجهم المستقيم... فما أجدد الشباب أن يبحث عنهم، ويتمسك بأذيالهم إذا ظفر بهم... ليكونوا له السند في الملمات، والعون على مفاسد الحياة ومفاتنها، والبطانة الخيرة التي يثق بها، ويأوي إليها، ويعتمد عليها...

ولا شك أن المرء على دين خليله، وأن القرين بالمقارن يقتدي، وأن الطيور على أشكالها تقع، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم القائل فيما رواه الترمذي: "المرء على دين خليله، فليظنر أحذكم من يُخالل".

ومن المعلوم يقيناً أن الذي يصاحب أهل المنكر والفسوق والعصيان فلا يقودونه إلا إلى ضلال، ولا يدفعونه إلا إلى غواية، ولا يصحبونه إلا إلى منافع شخصية، وغايات دنيوية!!..

فليحذر شبابنا من رفقاء السوء، وقرناء الشر... إن أرادوا لإيمانهم رسوخاً وتمكيناً، ولأخلاقهم سموّاً وتهذيباً، ولأجسادهم سلامة وقوة...!

وليرصوا على الرفقة الصالحة، والجماعة المؤمنة، لتتحقق لهم السعادة في الدارين:

الكرامة في الدنيا، والنجاة في الآخرة، وصدق الله العظيم القائل في محكم كتابه: {الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدوٌ إلا المتقين} الزخرف: 67.

6- الأخذ بالتعاليم الطبية:

إن مما ينصح به علماء الصحة والطب في التخفيف من سلطان الغريزة، وجموح الشهوة هو ما يلي:

- الإكثار من الحمامات الباردة في موسم الصيف، وصب الماء البارد على العضو التناسلي في الفصول الأخرى

- الإكثار من الألعاب الرياضية، والتمارين الجسمية

- تجنب الأطعمة المحتوية على بهارات وتوابل كونها مثيرة ومهيجّة

- الإقلال ما أمكن من المنبهات العصبية كالقهوة والشاي

- عدم الإكثار من اللحوم الحمراء والبيض .

- عدم النوم على الظهر أو البطن، بل السنة أن ينام على شقه الأيمن مستقبلاً بوجهه القبلة

7- وأخيراً استشعار خوف الله تبارك وتعالى:

من المُتبيّن به أن الشاب حين يستشعر من أعماق وجدانه أن الله سبحانه يرقبه ويراه، ويعلم سره ونجواه، ويعلم خائفة الأعين وما تخفي الصدور... وأنه سيحاسبه إن قصر وفرط، ويعاقبه إن انحرف وزل... لا شك أنه سينتهي عن الموبقات والقبايح، ويكف عن المنكرات والفواحش

ومن المعلوم يقيناً أن حضور مجالس العلم والذكر، والمداومة على صلاة الفرض والنفل، والمواظبة على تلاوة القرآن، والتهجّد في الليل والناس نيام، والاستمرار على صيام المندوب والتطوّع، والاستماع إلى أخبار الصحابة والصالحين، واختيار الرفقة الصالحة والارتباط بالجماعة المؤمنة، وذكر الموت وما بعده... كل ذلك يقوي في المؤمن جانب الخشية من الله، والمراقبة له، والاستشعار لعظمته

فحريّ بالشاب المؤمن أن يتهج هذه الوسائل التي تقوّي في نفسه عقيدة المراقبة لله والخشية منه... حتى لا تتجاذبه المغريات، ولا

فتنته زينة الحياة الدنيا، ولا يقع في محذور أو محرم، وأن يضع نصب عينيه قوله تبارك وتعالى: {فأقاً من طغى} وآثر الحياة الدنيا} فإن الجحيم هي المأوى} وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى} النازعات: 37-41.

3- أما ظاهرة المسكرات والمخدرات:

فهي ظاهرة خطيرة وأليمة نراها متفشية في البيئات التي لا تقيم للأخلاق الفاضلة وزناً، ولا للتربية الإسلامية حرمة} هذه الظاهرة نراها أكثر ما نراها في الأطفال المشردين الذين فقدوا من يعيهم ويشرف على تربيتهم وتوجيههم، وفي الأوالاد الذين ساروا في طريق الفساد والانحراف بغفلة عن مراقبة آبائهم وأمهاتهم} فخالطوا الأشرار، وصاحبوا الفجار، فاكتسبوا منهم كل مفسدة ورذيلة:

ولكي نوقى هذه الظاهرة حقها من البحث يحسن التكلم عنها في أمور ثلاثة:

1- الأضرار التي تنجم عنها}

2- حكم الإسلام فيها}

3- العلاج الناجع في استئصالها والقضاء عليها}

أما الأضرار التي تنجم عن المخدرات والمسكرات فهي مرتبة كما يلي:

(أ) أضرار صحية وعقلية:

فمن المجمع عليه لدى الأطباء وعلماء الصحة أن تعاطي المسكرات والمخدرات تسبب الجنون، وتضعف الذاكرة، وتورث أمراضاً عصبية ومعدية ومغوية، وتشل حدة الفكر والذهن، وتحدث ألاماً في الجهاز الهضمي، وتفقد الشهية إلى الطعام، وتسبب سوء التغذية والهزال والخمول والضعف الجنسي، وتؤدي إلى تصلب الأوعية والشرايين} إلى غير ذلك من الأمراض الخطيرة} ويكفي أن نعلم عن أضرار هذه الظاهرة أن معهد الإحصاء القومي في فرنسا قرر: (إن الخمر تقتل من الفرنسيين أكثر ما يقتل مرض السل، ففي عام 1955) مات سبعة عشر ألفاً، من الفرنسيين من تأثير الخمر، بينما لم يموت من السل اثني عشر ألفاً في السنة نفسها).

(ب) أضرار اقتصادية:

من المعلوم أن الذي يتعاطى الخمر والمخدرات يبذل المال في سبيله سهلاً رخيصاً بدون حساب} ولا يخفى ما في هذا البذل الرخيص من إلتاف للمال، وخراب للبيوت، وإيراث للفقر} عدا عن أن المدمن يسبب الضعف في الإنتاج، والخلل في الاقتصاد، والتخلف في ميادين الحضارة} لما يصاب به من هزال وخمول وأمراض جسمية ونفسية} نتيجة الخمر والمخدر}

فقد ذكرت جريدة الأهرام القاهرية في عددها الصادر في 03/05/1965: "أن (72) مليون أمريكي يتناولون الخمر، منهم (20) مليوناً يكفون الدولة بليون دولار كل سنة، السبب تغييهم عن العمل}."

(ج) أضرار نفسية وخلقية واجتماعية:

إن المدمن على تعاطي المسكرات أو المخدرات يتصف بصفات ذميمة، ويعتاد على عادات قبيحة كالكذب، والجبن، والاستهانة بالقيم الأخلاقية والمثل العليا} ويندفع إلى ارتكاب الجرائم كالسرقة وتعاطي الدعارة، والاعتداء على الأنفس} ويصاب بتميع الخلق، وتحلل الإرادة، وضعف الشعور بالواجب}

هذا عدا عما يقضي وقته في أوكار سرية مع شراذم من الأشرار، ورفاق من الفجار حيث يستبيح معهم كل موبقة، وينتهك بخلطتهم كل حرمة!!..

ومن المعلوم أن الدول الاستعمارية تتخذ من ترويج المخدرات سلاحاً فتاكاً لكسر شوكة الشعوب، وتمييع أخلاق الأمة، وإخماد جذوة روح الجهاد والمقاومة} وإن مصر ما زالت تعاني من حرب المخدرات التي روج لها، ووضع بذورها الاستعمار البريطاني منذ ربع قرن من الزمان، كما أن انكلترا شنت حرباً على الصين التي حظرت تجارة الأفيون فسميت حرب الأفيون}

وأما حكم الإسلام في تعاطي المسكرات والمخدرات فإنه التحريم بالإجماع وذلك للأدلة التالية:

- يقول الله تعالى في تحريم الخمر:

{يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون} إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون}{7} المائدة: 90-91.

- ويقول عليه الصلاة والسلام في تحريمها كما روى أبو داود: "لعن الله الخمر وشاربها وساقياها ومبتاعها وبائعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه".

وأما تحريم المخدرات فالأدلة أكثر من أن تحصى: وإليكم شيئاً منها:

(أ) اندراجها تحت عموم قوله تعالى: {ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث} الأعراف: 157.

وقوله عليه الصلاة والسلام "لا ضرر ولا ضرار"، رواه أحمد وابن ماجة}

(ب) تدخل في حديث النهي الذي رواه الإمام أحمد في مسنده، وأبو داود في سننه بسند صحيح عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنها قالت: "نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل مسكر ومفتّر". والمخدرات تدخل في النهي باعتبار أنها مفترة}

(ج) أنها تندرج في أدلة تحريم الخمر باعتبار أنها تخامر العقل وتخرجه عن طبيعته المدركة الحاكمة، فقد روى البخاري ومسلم أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أعلن على الناس من فوق منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الخمر ما خامر العقل)، وهذه الكلمة تحدد مفهوم الخمر حتى لا تكثر أسئلة المشتبهين، فكل ما لايس العقل، وأخرجه عن طبيعته المميزة المدركة الحاكمة فهو من الخمر المحرم إلى يوم القيامة}

ومن ذلك تلك المواد التي تعرف باسم المخدرات كالحشيش والكوكايين والأفيون ونحوها، فإنها تؤثر تأثيراً بالغاً على العقل، فيرى من يتعاطاها البعيد قريباً، والقريب بعيداً، ويتخيل ما ليس بواقع، ويسبح في بحر من الأوهام والأحلام، ويهيم في أودية من الخيال حتى ينسى نفسه ودينه وديناه، وقد حكى القرافي وابن تيمية الإجماع على تحريم الحشيشة، وقال ابن تيمية: (من استحلها فقد كفر).

بقي هناك جانب قد يسأل عنه بعض الناس وهو استعمال الخمر كدواء} والجواب ما أجاب عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه مسلم وأحمد وغيرهما حين سأله رجل عن الخمر، فنهاه عنها، فقال الرجل: إنما أصنعها للدواء قال عليه الصلاة والسلام: "إنه ليس بدواء ولكنه داء"، وروى أبو داود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إن الله أنزل الداء والدواء، وجعل لكل داء دواء، فتداووا ولا تداؤوا بحرام"، وروى البخاري عن ابن مسعود رضي الله عنه في شأن المسكر أنه قال: "إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم".

فهذه النصوص بجملتها تدل دلالة قاطعة على أن استعمال الخمر وحدها حرام يأثم من يتناولها}

أما ما خالط بعض الأدوية بنسبة مقدرة من الكحول - لضرورة - كحفظها من الفساد مثلاً فإنه يجوز استعمالها إذا تعين الشفاء بها، وكان الواصف للدواء طبيباً مسلماً ماهراً يخشى الله في السر والعلن، لأن مبادئ الشريعة قائمة على اليسر، ودفع الحرج، وتحقيق مصالح الناس، والأصل في ذلك قوله تبارك وتعالى: {فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه} البقرة: 173.

أما العلاج الناجع في استئصال هذه الظاهرة فيكون بالوسائل التالية:

(أ) بالتربية الصالحة

(ب) بمع أسبابها

(ج) بمعاقبة مرتكبيها

(أ) أما التربية الصالحة فتتركز بتربية الولد منذ نعومة أظفاره على الإيمان بالله، والخشية منه، واستشعاره مراقبة الله في السر والعلن، لما لهذه التربية القويمة من أثر كبير في تكوين ضميره، وإصلاح نفسه، وسمو خلقه ومن المعروف تاريخياً أن العرب الذين أدركوا الإسلام، وآمنوا به، ودخلوا فيه لما ترّبت ضمائرهم على مراقبة الله، وترسخت نفوسهم على الخشية منه، والاستعانة به، والاعتماد عليه، تركوا كل العادات المرذولة التي كانوا عليها في الجاهلية عن طواعية واختياراً فلنأخذ مثلاً تعلق العرب الجاهليين بالخمير قبل الإسلام، وتمدّحهم بشربها وتفننهم في وصفها اسمعوا إلى ما يقول شاعرهم في التعلق بها:

إذا متّ فادفني إلى جنب كرمة

تروي عظامي بعد موتي عروقتها

واسمعوا إلى ما اخترعوا لها من الأسماء والألقاب: (المدامة، السلافة، الراح، الصهباء، ابنة العنقود، ابنة الكرم، بنت الدنان، بنت الحان) إلى آخر هذه الأسماء والألقاب التي زادت عن المائة

ومع كل هذا لما بلغهم أن الخمر قد حرمت قالوا جميعاً: انتهيان ربنا، بل أراقوا ما كان عندهم في القلال في سكك المدينة هكذا الإيمان يصنع العجائب حين يخالط بشاشته القلوب، وتترسخ جذوره في الضمائر والنفوس بل يقوم بدوره الكبير في الإصلاح والتهديب، مما تعجز عند دول، وتفشل في تحقيقه أساطيل فما أحوج المجتمعات الإنسانية إلى مثل هذا الإيمان، وإلى مثل هذه التربية الصالحة!!..

(ب) أما منع أسباب هذه الظاهرة فيرجع إلى من بيده السلطة والتنفيذ، فالدولة حين تمنع في الأسواق وفي كل مكان جميع أنواع الخمر، وتتخذ الأسباب لاستئصالها والقضاء عليها، عندئذ توصل الأبواب في وجوه مدميها، فلا يحتسيها شاب، ولا يجد فاسق سبيلاً إليها

(ج) أما عقوبة مرتكبيها فإن الإسلام وضع العقوبة الزاجرة لكل من يحتسيها وهي مقدرة ما بين (40 إلى 80) جلدة، وهذا لا يمنع من وضع عقوبات تعزيرية من حبس، وتغريم ومصادرة لكل من يبيعهها أو يحملها أو يتاجر بها وعلى الحكومات - إن كانت حادة - أن تنتقي من المباحث الجنائية المعروفة بالنشاط والإخلاص والحزم والاستقامة لتزاول عملها على أحسن وجه عسى أن نصل في النهاية إلى تطهير المجتمع من موبقات الخمر، وأخطار المخدرات

4- أما ظاهرة الزنى واللواط: فهي أخطر الظواهر الاجتماعية عند الأطفال والمراهقين الشباب وكما سمعنا عن أطفال لم يبلغوا الحلم بعد، سلكوا طريق الفاحشة والفساد بغفلة عن مراقبة آبائهم وذويهم حتى هؤوا في مزالق الشذوذ والانحدر الخلفي، فقبعوا في حضيض الهلاك والضياع وما أشدّ فاجعة الآباء والأولياء حين يرون أولادهم، ومن يقومون على أمرهم قد انتكست فطرتهم، وانحطت أخلاقهم، وانغمسوا في حماة الرذيلة والشذوذ!!..

وهل تنفع الآهات، وتجدي الحسرات، بعد أن رأوا أفلاداً أكبادهم وثمرات قلوبهم وهم يتخبطون في أحوال الخبائث، ويتعثرون في مستنقعات الفساد؟

ولو أنهم رُؤوهم على الأخلاق الفاضلة، وراقبوا تحركاتهم مراقبة تامة، وعرفوا من يصاحبون، ومن يخاطبون لما وصلت حالة أبنائهم إلى هذه النهاية المُفجعة، وإلى هذه النتيجة المخزية!!..

من المسؤول الأول عن الشذوذ الخلفي، والانحراف الاجتماعي لدى الأبناء والأولياء؟

من الذي يوجههم إلى مبادئ الفضيلة والأخلاق، ويقبّح لهم الفحشاء والمنكر غير الآباء والأولياء؟

فالأب والأم هما المسؤولان أولاً وأخيراً عن تربية الولد، ثم تأتي بالتالي مسؤولية الدولة، ومسؤولية المجتمع بعد هذه اللفتة التوجيهية نتكلم عن هذه الظاهرة في أمور ثلاثة:

1- الأضرار التي تنجم عنها

2- حكم الإسلام فيها

3- العلاج الناجع في استئصالها والقضاء عليها

أما عن الأضرار التي تنجم عن ظاهرة الزنى واللواط فإنها بالغة الخطورة، وهي مرتبة كما يلي:

(أ) أضرار صحية وجسمية:

يتسبب عن اقتراف جريمة الزنا واللواط الأمراض التالية:

1- مرض الزهري:

الذي من أعراضه القرحة والتورم على أعضاء التناسل أو الشفة أو اللسان أو الجفن وظهور البقع في أنحاء الجسم، ويسبب هذا المرض الخطير الشلل، والعمى، وتصلب الشرايين، والذبحه الصّدرية، والتشوهات الجسمية، وسرطان اللسان، والشلل في بعض الأحيان، وقد يتعدى هذا المرض إلى الزوجة والأولاد وهو من الأمراض السارية بالعدوى من لمس ولعاب

2- مرض السيلان أو التعقبة:

من أعراض هذا المرض حدوث ألم وحرقة شديدة عند التبول، وإفراز سائل صديدي (القيح) في مجرى البول عند الرجال، ومن عنق الرحم ومجرى البول عند النساء ومن مضاعفات السيلان عند الذكور حدوث الالتهابات في الخصيتين والمثانة، وضيق مجرى البول أما عند النساء فيسبب التهاب الرحم والمبايض والكلتين ومرض التعقبة قد يؤدي إلى العقم لدى الرجل والمرأة، وإصابة القناة البولية عند الرجل بقرح تؤدي في الغالب إلى انحباس البول الذي قد يؤدي إلى الوفاة في بعض الأحيان

3- انتشار الأمراض المعدية:

ومن أمراض الزنى واللواط أنه يجلب أمراضاً خبيثة معدية بسبب انتقال الجراثيم الفتاكة من المريض إلى الصحيح، وبسبب القذارة الحاصلة أثناء الجماع [8]. وما أكثر هذه الأمراض السارية التي استفحل خطرهما، وتفاقم شرهما في المجتمعات التي ينتشر فيها الزنى واللواط، ويعم في ربوعها الفساد والمنكر!!..

وما أصدق ما قاله الصادق المصدوق محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه حين أخبر أن الفاحشة إذا ظهرت في قوم ابتلاهم الله بالأوجاع والأمراض التي لم تكن في أسلافهم وروى ابن ماجة والبخاري والبيهقي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "يا معشر المهاجرين: خمس خصال إذا ابتليتم بهن، وأعوذ بالله أن تدركوهن - عدد منها - ولم تظهر الفاحشة في قوم قط يعمل بها علانية إلا

ابتغينا العزة بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله" رواه الحاكم

إذا الإيمان ضاع فلا أمان
ولا دنيا لمن لم يُحَيِّ ديناً
ومن رضي الحياة بغير دين
فقد جعل الفناء له قريناً

وانطلاقاً من المبدأ الذي وضعه الرسول صلوات الله وسلامه عليه: "لا ضرر ولا ضرار"، وامثالاً لقوله تبارك وتعالى: ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾، وأخذاً بواجب المسؤولية التي حتمها رسول الإسلام ﷺ وجب على المربين - ولا سيما الآباء والأمهات منهم - أن يأخذوا بأسباب الوقاية لأولادهم، وبوسائل الحيطة والحذر لأفلاذ أكبادهم ﷺ حتى لا يتعرضوا للأخطار المحدقة التي تصيبهم، ولا للحوادث الأليمة التي تفاجؤهم، وربما تقضي بهم - في أغلب الأحيان - إلى الموت أو التشويه أو المرض أو الجروح ﷺ وإيكم - أيها المربون - أهم هذه الأسباب الوقائية في تقليل الحوادث:

وهي ملخصة مع بعض التصرف من كتاب (المشكلات السلوكية) للدكتور نبيه الغبرة صفحة: 177: (إن النظام المنطقي المنسجم المعتدل الذي نضعه لأطفالنا ضروري لسلامتهم، كما هو ضروري لشعورهم بالاطمئنان، وإن حماية الطفل في السنة الأولى تقع على عاتق الأهل كاملة وهم مسؤولون عن أي تفريط، وأما في السنة الثانية فيحسن البدء بتعليم الطفل الحذر من المخاطر، وذلك بتلقينه بعض الدروس اللطيفة، فحتى لا يلمس المدفأة أو النار أو الأواني الحارة ﷺ بشكل اعتباطي، أو أن يقع فيها، فيحسن أن نقول له أو ننبهه بأنها حارة مؤلمة عند اللمس بل ومخيفة، وأن نسمح له بلمسها لمساً لطيفاً سريعاً لا يؤذي، وبذا يخافها ويحذرهما ﷺ وإذا ما رأينا طفلاً على وشك من أن يقع على كرسي، وليس في يده شيء يؤذي أو لا يوجد شيء على الأرض قد يؤذي إن سقط عليه، فلا بأس من تركه يسقط - مع أخذ الحيطة - وننتهز الفرصة لتعليمه الحذر، وعلى العموم فيجب أن يكون هناك توازن ما بين التعليم والحماية ﷺ على الأهل أن يفتنوا لما يمكن أن يتعرض له الطفل من مخاطر أثناء لعبه، وأن يأخذوا الاحتياطات اللازمة).

وفيما يلي بعض الخطوات العملية التي تساعد على الإقلال من الحوادث كما عرضها الدكتور غبرة:

1- يجب وضع السموم في خزانة مغلقة، وأن يوضع المفتاح في مكان أمين، كما يجب أن يكتب اسم المادة السامة على الزجاجية بشكل واضح، وأن لا توضع الزجاجية حيث يوجد الطعام، وهذه السموم تشمل أنواعاً عديدة لاستعملات مختلفة، وأهمها مبيدات الحشرات، والقطرونة ﷺ

2- يجب رمي الأدوية الفائضة عن الحاجة، وعدم تركها في متناول الأطفال، وعند استعمال الدواء يحسن ألا يستعمل بوجود الطفل، لأن الأطفال يحبون التقليد والمحاكاة، وحوادث تسمم الأطفال بالأدوية ليست بالقليلة، وإذا ما أردنا أن نعطي طفلاً دواء فيجب إرفاقه أنه دواء وليس شراباً، والأحسن وضعه في مكان بعيد عن متناول يده إن لم نكن على ثقة منه ﷺ

3- يجب وضع حاجز واق لكل مصادر الاحتراق كالمدافئ بمختلف أنواعها، وأجهزة التسخين والطبخ والأفران إن كان هناك احتمال وصول الطفل الذي بدأ يحب ويمشي إليها، وإلا فلا بد من وقوع الحوادث، فكم يحترق أطفال بالمدافئ، ومواقد الحمامات، وما شابه ذلك ﷺ ويجب كذلك عدم السماح للطفل باللعب بالأشياء المشتعلة كعود الثقب (الكبريت)، بل علينا أن نجعلها في أماكن مرتفعة بعيدة عن متناول يده ﷺ وأما أباريق الشاي، وأواني أوعية الطبخ فهي مصدر خطر على الأطفال للأشياء الساخنة الموجودة فيها، فكم من أم جاهلة غفلت عن آنية المطبخ أو القلي وفيها الأشياء المحرقة، فوقع فيها فلذة كبدها، فأصيب بالجروح المحرقة، وسببت له التشوهات الدائمة؟ وكم من أم حمقى وضعت إبريق الشاي على حافة الطاولة، أو على الأرض، أو على الكرسي، فوقع طفلها على الإبريق، أو وقع الإبريق عليه فنتج عن ذلك الإصابات الخطيرة؟

ويجب الحذر من الألعاب النارية في المواسم والمناسبات خشية التأذي بها ﷺ ويجب الاحتراس من أخطار الأدوات الكهربائية وأسلاكها مخافة الإصابة ﷺ

4- يجب إبعاد كل الآلات الحادة كالمقصات، والسكاكين، والشفرات، والدبابيس، والأواني الزجاجية بحيث لا تصل إلى أيدي الأطفال ﷺ
5- ويجب عدم السماح للأطفال بممارسة الألعاب التي قد تكون خطرة كاللعب بالحبيل وشده حول العنق، أو اللعب بكيس من البلاستيك وإدخال الرأس فيه، فهذا قد يؤدي إلى الاختناق، ويجب كذلك تجنب الطفل الركض وفي فمه، طعام، أو قذف بعض المواد كالقضامة والفتق في الهواء ثم تلقيها بالفم مباشرة خوفاً من دخول الطعام إلى مجرى الهواء فيتسبب الاختناق ﷺ
6- ويجب على الأم ألا تقيم ابنها في سريرها إذ هناك خطر خنقه، وكم سمعنا عن حوادث من هذا النوع؟ فقد تنام الأم، ثم ينام الطفل والثدي في فمه، فبمجرد ميلان خفيف من الأم على الطفل يؤدي إلى موته بالاختناق ﷺ

7- ويجب التأكد من سلامة نوافذ الطابق العلوي، وكون الطفل لا يستطيع اجتيازها، ويجب أن تكون حواجز الشرفات من النوع الفني الحديث التي تسمح للطفل بالمشاهدة ولا تسمح له بتسلقها، أو على الأقل لا يخشى عليه من الخطر إن تسلقها، وكم من حوادث أليمة ذهب ضحيتها أطفال في أجمال العمر نتيجة التساهل في هذا الأمر؟

8- ويجب الانتباه عند استعمال الآلات الميكانيكية، والأجهزة الكهربائية، ولا سيما الغسالات ومفارم اللحم والكيبيبة ﷺ فحوادث انسحاب أيدي الأطفال في الغسالة، أو ذهاب أصابعهم بالمفرمة ليست قليلة!!

9- ويجب الانتباه إلى كون الباب الخارجي للمنزل مغلقاً حتى لا يخرج الطفل على حين غرة بدون علم أمه خوفاً من وقوع حادث ﷺ
10- ويجب الانتباه على الباب عند إغلاقه مخافة أن يضع الولد أصابعه في طرفه فيتسبب انضغاط على بعض أصابعه، فيصاب بإصابات أليمة ﷺ

إلى غير ذلك من هذه الأسباب الوقائية التي لا تخفى على كل ذي عقل وبصيرة ﷺ تلکم هي أهم الوسائل التي وضعها الإسلام في تربية الولد الجسمية، وهي - كما علمت - وسائل إيجابية، وأسباب وقائية لو أخذ بتعليمها المربون، ومشى على نهجها الآباء والمعلمون ﷺ لرأينا أبناء هذا الجيل يرتعون في بحبوحة من الصحة ويتمتعون بنعمة القوة، ويسيروا في طريق الأمن والهناء والاستقرار ﷺ ومن المعلوم يقيناً أن أمة الإسلام إذا تمتعت بعقل سليم، وجسم قوي، وإرادة متينة، وعزيمة جبارة، وشجاعة فائقة، ووعي كامل ﷺ فإنها ستكون المبرزة في الإنتاج، السباقة إلى الحضارة، والآخذة بأسباب النصر والمجد، والعاملة على تحقيق العزة الخالدة للإسلام والمسلمين، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم ﷺ

فيا أيها المربون من آباء وأمهات ومعلمين ﷺ

هذا هو وحده طريق الحياة ﷺ هذا هو وحده طريق القوة ﷺ هذا هو وحده طريق المجد ﷺ هذا هو وحده طريق الخلود ﷺ فما أحوج الجيل اليوم - الذي هو أمانة في أيديكم - إلى تطبيق هذه التعاليم السامية، والمبادئ الخالدة في إعداده جسمياً، وتكوينه صحياً ونفسياً ﷺ حتى يستطيع أن ينهض بأبائه، ويضطلع بمسؤولياته في حمل الرسالة الإسلامية إلى الدنيا كما حملها من قبل جيل الصحابة، وجيل التابعين التي تلت من بعدهم ﷺ

عسى أن ينقل جيلنا اليوم الأهم عن ظلمات الإلحاد والانحلال والجاهلية إلى نور الإيمان، ومكارم الأخلاق، وهداية الإسلام!!.. وما ذلك

على الله بعزير

[1] البُحْت: الإبل الخراسانية

[2] أخذاً عن مجلة الحضارة، السنة الثانية عشرة العدد: 3-4، ص 158.

[3] صفحة (15-16) من النشرة المذكورة التي هي بعنوان: (تعاونوا للقضاء على مرض السل).

[4] هذه النصوص منقولة من كتاب (ردود على أباطيل) للعلامة المرحوم: الشيخ محمد الحامد ص 40.

[5] هذا النص الفقهي من كتاب (ردود على أباطيل) للعلامة المرحوم الشيخ محمد الحامد ص 42.

[6] ارجع إلى كتابنا (عقبات الزواج) تجد ما فيه الكفاية

[7] بعض الذين في قلوبهم مرض يقولون: ليس في لفظ (فاجتنبوه) دليل على التحريم، ولو كانت الخمر محرمة لقال القرآن: فحزموه،

بينما هناك سبعة أدلة على التحريم: 1- مقارنة الخمر بالميسر والأنصاب والأزلام، 2- وصفها بأنها رجس، 3- وصفها أنها من عمل

الشیطان، 4- الأمر الذي يدلّ على الكف في لفظ {فاجتنبوه}، 5- إنها توقع في العداوة والبغضاء، 6- إنها تصد عن ذكر الله وعن

الصلاة، 7- صيغة الاستفهام الإنكاري في قوله تعالى: {فهل أنتم منتهون}، فهل هناك أدلة أقطع من هذه الأدلة التي تدل على

التحريم ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون

[8] هذا بالإضافة إلى مرض (الإيدز) اللعين الذي يدمر جهاز المناعة في جسم الإنسان فيجعله عرضة لاستقبال كل الأمراض ولا يقوى

على مقاومتها وهذا لم يشهده المؤلف - رحمه الله - في حياته (الناشر).

[9] النص الفقهي من كتاب الترغيب والترهيب: ج 4، صفحة 325، باب الترهيب من اللواط

يتبع